

مَنَاقِبُ الصَّيْدِ

أشرف المداخل إلى القول في مناقب الصيد، حديث عن رسول الله ﷺ يقول فيه وقد خرج على نفر من أسلم ينتضلون: «ارموا بنى إسماعيل، فإن أباكم كان راميا. ارموا، وأنا مع بنى فلان». فأمسك أحد الفريقين. فقال ﷺ: مالكم لا ترمون؟ قالوا: كيف نرمي وأنت معهم؟ قال عليه السلام: «أرموا وأنا معكم كلكم».

إسماعيل والصيد:

كان إسماعيل عليه السلام يعيش مع أمه هاجر في واد غير ذي زرع عند بيت الله الحرام، وكان لابد لها من طعام، ولم تكن ثمة وسيلة إليه سوى لحمان الصيد فكان إسماعيل يكثر الخروج إليه طلباً للقوت. فلما أدرك الحلم تزوج امرأة من جرهم، وماتت أمه ودفنت بالحجر عليها السلام.

ويروى أصحاب السنن أن إبراهيم حين جاء لزيارة إسماعيل لم يجده، فلما سأل امرأته عنه أنبأته أنه خرج يصيد. ثم سأها عن عيشتهم وهيئتهم. فقالت: نحن في ضيق وشدة. فأمرها إذا رجع زوجها أن تقرأ عليه السلام، وأن تخبره بأن يغير عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل وأخبرته الخبر، قال لها: ذلك أبى، وهو يأمرنى بأن أفارقك. ثم تزوج غيرها. وجاء إبراهيم مرة ثانية فلم يجد إسماعيل أيضاً - ولما سأل عنه زوجته أخبرته أنه خرج يتغى رزقاً ويطلب صيداً، فأهاها عن عيشتهم وهيئتهم فقالت: نحن في خير وسعة، وأنت على الله عز وجل بما هو أهله. فأهاها: ما طعامكم؟ فقالت: لحم

الصيد. فسألها: ما شرابكم؟ فقالت: الماء. فدعا لهم بالبركة في اللحم والماء^(١١).

ولما هم إبراهيم بالقول قال لها: إذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وأخبريه عني، أن يثبت عتبة بابه^(١٢)، فإنها صلاح المنزل.

ثم لبث إبراهيم عن إسماعيل وأهله ما شاء الله، فجاء إليهم - وإسماعيل يرى نبلاً له، قريباً من زمزم، تحت دوحه - فلما رآه قام إليه فصعاً ما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد. ثم نبأه أن الله أمره ببناء البيت على كُمة مرتفعة عما حولها. فعند ذلك رفع إبراهيم مع إسماعيل القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأقي بالحجارة، وإبراهيم يبني. حتى إذا ارتفع البناء، جاء إسماعيل بحجر فوضعه لأبيه فقام عليه وهو يبني، وهذا الحجر هو المعروف اليوم بعمام إبراهيم، من حيث أنه كان يقوم عليه في البناء، وليس من حيث أنه دفن فيه، فإنه عليه السلام مدفون في مدينة الخليل في فلسطين. فذلك قول الله جل ثناؤه ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وبنا عليها إنك أنت التواب الرحيم. ربنا وابعث فيهم رسلاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾.

الحواريون والصيد:

وإذا كان الصيد قد سرف عمولة إسماعيل إياه في صيد الوحشيات

^(١١) وفي سور عن رسول الله في هذا المقام قوله «ولم يكن هذا يومئذ حيب ولو كان. لدعا لهم بالبركة فيه».

(١٢) العرب تكنى عن لوجه بعثته لئلا

بالسهام، فإنه قد شرف أيضًا بمزاولة الحوارين إياه. على ما يروى سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضى الله عنها - قوله: إنما سُمِّي أصحاب المسيح بالحواريين لبياض ثيابهم، وقد كانوا صيادين. والحوارى هو الناصر الحميم، مأخوذ من الحوارى وهى الدقيق المنقى. وكل مبالغ فى نصرته آخر هو حواريه.

جد رسول الله والصيد:

الجد الخامس لرسول الله ﷺ هو حكيم بن مُرَّة. ومن أهل السير من يدعوه «كلاب بن مرة»؛ على أن أحد الاسمين علم عليه والآخر لقب له، وقد ذهبوا فى تعليل هذا اللقب إلى أنه كان صاحب صيد وكانت وسيلته إليه الكلاب، فمن أجل ذلك لقب كلابًا.

وذهب آخرون من أهل العلم فى التعليل لهذا الاسم - لقبًا كان أو علمًا - مذهبيًا آخر، فرأوا أن كلابًا مصدر للفعل كالب بمعنى غالب. والكلاب والمكالية كالفلاب والغالية، كلاهما دليل على القوة. فإن المرء لا يقالب ولا يكالب إلا إذا كان قويًا بنفسه وبعصبته. وبعضهم يرى أن كلابًا جمع كلب وأن العرب تسمى كلابًا كما تسمى أغارًا وسباعًا. ومهما يكن هذا الاسم ثقیل الوقع فى الأسماع، فإن العرب فى جاهليتهم كذلك كانوا يفعلون، فيختارون لأولادهم الأسماء النابية على قدر ما كانوا يختارون لعبيدهم الأسماء السائقة.. وقد سئل أعرابي: لماذا تسمون أولادكم بشرّ الأسماء، وتسمون عبيدكم بأحسنها؟ فقال: إنا، إنما نسمى أولادنا لأعدائنا، ونسمى عبيدنا لأنفسنا، يريد أن الأبناء عدة إلى الأعداء وسهام فى نحورهم، فهم يختارون أسماء أولادهم لأعدائهم نحو كلب وذئب، كما يختارون أسماء عبيدهم لأنفسهم، نحو مرزوق ورباح، وكأنهم إنما قصدوا إلى التفاؤل بذلك.

وقد كان رسول الله ﷺ يقوم فيها يقوم من سلوك الجاهلية هذه الصورة من صور الحياة عندهم، فكان يغير الاسم الثاني إلى ما هو آنس للنفس وألطف في المسامح، فغيرَ صلوات الله عليه اسم «عاصية» إلى «جميلة»، واسم «برة» إلى «جويرية»، كراهة أن يقال إنه خرج من عند برة. وغيرَ اسم «أصرم» إلى «زُرعة»، وغيرَ «حرباً» إلى «سلم»، وغيرَ «المضطجع» إلى «المتبعث». بل إنه - صلوات الله عليه - لم يقف في تغيير الأسماء عند الناس فتعدى ذلك إلى الأشياء حتى سمي الأرض «خضرة» بدلاً من «عقرة»، وسمى «شعب الضلالة» «شعب الهدى».

ومع أنه - صلوات الله عليه - كان أهيب الخلق في أعين أعدائه وأحبهم إلى قلوب أصحابه، كان من هؤلاء من يأبى الرسول عن اسمه إلى اسم سماه هو به عليه السلام، فقد ذكر سعيد بن المسيب عن أبيه - رضى الله عنه - أنه جاء إلى النبي فسأله صلوات الله عليه عن اسمه، فقال: حزن، فقال له النبي: بل أنت سهل، فسارع الرجل إلى القول بأنه لا يغيرُ اسماً سماه به أبوه، ثم علل ذلك بقوله: إن السهل يوطأ ويمتن. يقول سعيد رضى الله عنه: فما زلت زالت الحزونة فينا بعد.

أسد الله والصيد:

أسد الله وأسد رسوله هو سيد الشهداء وعم النبي وأخوه من الرضاعة حمزة بن عبد المطلب، أرضعته مع رسول الله ومع أبي سلمة ثويبة مولاة أبي لهب. ومن أكرم مناقب الصيد أن حمزة - رضى الله عنه - اعتنق الإسلام، منصرفه من رحلة صيد، وانتصر لرسول الله ﷺ بآلة صيد، وقُتل شهيداً في غزاة أحد بآلة صيد، وكان الذي قتله يحمل اسماً لا معدى عن ذكره في باب الصيد.

وبيان ذلك فيما ذكر الثقات من أهل السير أن أبا الحكم بن هشام -أبا جهل- مرّ برسول الله عند الصفا فأذاه وشمته ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره. فلم يكلمه النبي، وكانت مولاة عبد الله بن جدعان في مسكن لها تسمع ذلك وتبصره. ثم انصرف أبو جهل إلى ناد من قريش عند الكعبة فجلس، وانصرف النبي إلى بيته، ولم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحاً قوسه راجعاً من قنص له وعلى يده صقر^(١)، وكان إذا رجع من صيده لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلّم وتحدث معهم، وكان أعز فتى في قريش وأشدّهم شكيمة، فلما مرّ بمولاة عبد الله بن جدعان، قالت له: يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد أنفاً من أبي الحكم بن هشام، وجده ها هنا جالساً فأذاه وسبه وبلغ منه ما يكره. ولكنه انصرف عنه فلم يكلمه. فثارت بحمزة العصبية عندئذ واحتمله الغضب^(٢)، لما أراد الله من كرامته فخرج يسعى لم يقف على أحد كما كان يفعل من قبل وقد قصد أبا جهل، مجمعاً إذا لقيه أن يوقع به، فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجة منكرة، ثم قال: أنت شتمت؟ فأنا على دينه، أقول ما يقول، فأردد ذلك على إن استطعت. فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإنني والله قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً. يقول الثقات من أهل السير في إسلام حمزة: إنه - رضى الله عنه - قال: لما احتملني الغضب فقلت أنا على دينه أدركني الندم على فراق دين آبائي وقومي وبت من الشك في أمر عظيم لا أكتحل بنوم حتى أتيت الكعبة

(١) كتاب البيرة

(٢) آثاره

وتضرعت إلى الله أن يشرح صدرى للحق ويذهب عني الريب، فما استتممت دعائى حتى انزاح عني الباطل وامتلأ قلبي باليقين، ثم غدوت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بما كان من أمرى، فدعا الله لى بأن يثبتنى على الإيمان. تلك خلاصة قصة اعتناقه الإسلام وانتصاره لرسول الله.

وأما استشهاده بآلة صيد فإنه قتل رضى الله عنه فى غروة أحد بحربة، والحربة من آلات الصيد. وخلاصة ذلك أن جماعة ذهبوا إلى وحشى قاتل حمزة يألونه عن ذلك فقال: لقد حدثت بذلك رسول الله ﷺ، فأنا أحدثكم به: كنت غلاماً لجير بن مطعم وكان عمه قد أصيب يوم بدر، فلما سارت قریش إلى أحد، قال لى جبیر: إن قتلت حمزة عم محمد بعمى الذى قتل فى بدر فأنت عتيق، فخرجت من الناس، وكنت رجلاً حيشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة ولما أخطئ بها شيئاً، فلما التقى الناس، خرجت أنظر حمزة وأتبصره حتى رأيته فى عرض الناس يهز الناس بسيفه ما يقوم له شىء، فهزرت حربى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقع فى ثنته^(١) حتى خرجت من بين رجليه. فذهب لينوء نحوى فغلب وتركته وإياها حتى مات. ثم أتيته فأخذت حربى ورجعت إلى العسكر فقعدت فيه، ولم يكن لى بغيره حاجة، وإنما قتلته لأعتق، فلما قدمت مكة عتقت ثم أقمت، حتى إذا فتتح رسول الله ﷺ مكة هربت إلى الطائف فمكثت بها، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله ﷺ ليسلموا، تعبت على المذاهب. فقلت ألحق بالناسم أو اليمن أو ببعض البلاد. فوالله إنى لفى ذلك من همى، إذ قال لى رجل: ويحك إنه والله ما يقتل أحداً من الناس دخل فى دينه وتشهد سهادة الحق، فلما قال لى ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة فلم يرعه إلا بى قائماً على رأسه

أتشهد بشهادة الحق. فلما رأى قال: أوحشني؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة؟ فحدثته، فلما فرغت من حديثي قال: ويحك غيب عني وجهك فلا أرينك بعد اليوم، فمكثت أنتكف رسول الله حيث كان لثلا يراني حتى قبضه الله إليه.

فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة، خرجت معهم، وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة، فلما التقى الناس رأيت مسيلمة الكذاب قائماً في يده السيف فتهيأت له، وتهيأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى، كلانا يريد به فهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فيه وسد عليه الأنصارى فضربه بالسيف، فربك أعلم أينما قتله؟ فإن كنت قتله فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله، وقد قتلت شر الناس. وفي هذا الصدد يروى السهيلي أن وحشياً حين قدم المدينة قال الناس لرسول الله: هذا وحشى فقال ﷺ: «دعوه، إن إسلام رجل واحد أحب إلى من قتل ألف رجل كافر».

وهكذا يستبين معنى الذى ذكرنا من أن حمزة رضى الله عنه اعتنق الإسلام منصرفه من رحلة صيد، وانتصر للنبي بآلة صيد، واستشهد في أحد بآلة صيد والذى قتله يدعى وحشياً وهو اسم يذكر في كل حديث عن الصيد.

ولى عهد في بعثة صيد:

العرب أساتذة في فن الصيد، لا يشق لهم فيه غبار. ومهما تكن الرواية عنهم في هذا الباب محاطة بكثير من المبالغة والإغراق، فإن الأساس صحيح، والحقيقة قائمة لا ينبغي أن يرتاب فيها من يحسن النظر إلى الأمور، ويرى

مبلغ أثر البيئات في العقائد والسلوك، فما ظنك بأمر يقوم عليه أمن العرب وحماية أموالهم وحرمااتهم، وتحصيل أرزاقهم وأقواتهم، وذلك كله مرتبط بإحسان الرماية ودقة التسديد، وقد بلغ العرب في هذا المجال مبلغاً كانوا فيه أساتذة لا يدفعون عن موضع الصدارة منه، حتى لقد وصفوا بأنهم رماة حذق، ثم أجروا ذلك المعنى مجرى الحكم المسلمة فقالوا: الرامي إذا حذق لم يخطئ الحذق.

والذى يأمل في شعر أولئك القوم ونهرهم، يرى أنهم لم يبلغوا هذه المرتبة من إحكام الرماية وحذق فن الصيد بكل ما يتصل به ويشتمل عليه، إلا ولهم في ذلك الميدان ماض عريق. على أن دقة التسديد وإحكام الرمي لم يستجب لهما إلا بعد أن أحاطوا بالوحشيات علماً، فعرفوا - بطول محالطتهم لها - ما يدور في خواطرها، ويتدسس في أعماق ضمائرهما، وتها لهما أن يعرفوا بالضبط متى تصاد وكيف تصاد.

ولقد عرف الفُرس هذه الاستادية للعرب الذين جاوروهم منذ آلاف السنين. فروى المؤرخون أن في عهد يزيد جرد الأول أرسل الملك ولى عهد بهرام إلى عرب الحيرة لينشأ بينهم، ويتلقى فن الصيد عنهم، وينعم بطيب هواء وجودته في بيئتهم التى تصح بها الأجساد، وتصلح عليها النفوس.

وقد كان ذلك في عهد العمان لأول، فتعلم بهرام الصيد، وتعلم معه العربية وكان ذلك داعية إلى توثيق الروابط بينه وبين هؤلاء العرب الذين نشئوه وعلموه فلما نازعه أخوه على الملك بعد وفاة يزيد جرد، عاونه العرب وتعصبوا له، ولما اعتلى العرش، لم ينس ما كان لعرب الحيرة عليه من يد طائلة، ففرَّجهم ووثق بهم وطمأن إليهم وأعلى من شأنهم.

فالصيد عمل شريف يسعى إلى حذقه الأكاسرة، وهم رؤوس دولة ذات حضارة ومجاولون أن يتلقوه عن العرب.

ومما يتم هذه المنقبة له أن الملك من ملوك فارس، كان إذا أراد الركوب إلى الصيد، أخذ أصحاب ركابه سوطه فدفعوه إلى أخص بطانته، ثم دفعه هؤلاء إلى الخدم، فأدخله الخدم إلى موضع نسائه، فتناولته إياه امرأة منهم، ثم يخرج من عندها والسوط في يده، فإذا ركب الملك إلى سائر المواضع سوى الصيد والحرب، فإنه يتناول السوط من حيث الموضع الذى يركب منه، وهم كانوا يرون فى ذلك تكريماً للصيد كما يرون فيه تكريماً للحرب. والصيد بلا ريب نوع من أنواع الحرب فى أيام السلم.

ولقد بلغت عناية أولئك القوم بالصيد واعتزازهم به أن أحدهم كانت تُنصب له الجوارح على كنادرها^(١) من ناحية وساده نحو رأسه، والضوارى والكلاب والفهود من ناحية عمد رجله، والخيل أمامه أو على يمينه، ولم يكن الواحد منهم يرى أن يخلو سمعه من زقاة جارح، ونباح ضار، وصهيل فرس، وكان كل من يشهد معه الصيد من خاصته وطاقته، يحوش عليه الوحشيات من الحمر والظباء، حتى يكون هو الذى يصطادها إلا إذا أذن بغير ذلك لمن شاء كيف شاء.

قال بياز العزيز بالله ملك مصر: وقد كانت لبهرام أحد قواد هرمز من ملوك الساسانيين، جارية أثيرة عنده، فاقتрحت عليه ذات يوم أن تحضر الصيد معه شغفًا به ونزاعًا إلى مشاهدة الطراد فيه، فبينما هى معه إذ عن لها سرب ظباء، وكان الرجل من جودة الرمى على مالم يكن عليه سواء، فقال لها: أراك مشغوفة بالصيد، فكيف تحبين أن أرمى هذه الظباء؟ فقالت الجارية

(١) كنادر جمع كندره، وهى بحمة البازى، عيباً له من خشب أو منير. والكلمة دخيلة ليست بهربية

تتحدها لتهنه من غروره: أريدك أن تجعل ذكورها إناثاً، وإناثها ذكوراً. ففهم إشارتها وقدر أنها توهمت عليه العجز عما التمسته منه، وأنها حاولت بطلبها هذا أن تظهر من نقصه حتى تفت من عضده عند من حضره من أهل مملكته، فقال في كبرياء المستبد: ما سألت شططاً. ثم رمى التيوس من الظباء فألقى قرونها فصارت كالإناث، وجعل يرمى كل واحدة من إناث بسهمين فيبتهها في موضع القرنين، فتعود الظبية كأنها تيس، فلما تم له ذلك على ما طليت منه الجارية، عطف عليها فقتلها خوفاً من أن تسومه بعد ذلك بفضل هبتها وقرمحها، خطة يقصر عنها فيفضح

وأنت رحمك الله - مهما يكن جلال منسبك وعزة نفسك، إذا رأيت نفسك مقسم الرأى في مناجرة أعداء ومطاردة خصوم، فإنك تضرب لنفسك مع هؤلاء مثلاً لا تستكف معه أن تكون كلب صيد، وأن يكون أعداؤك سرب ظباء، فذلك حيث تقول ما ذكره الأصمعي عن الحارث ابن مصرف: تفرق الظباء على حراش فلما يدرى حراش ما يصيد

ولا شك أنك ترى في هذه المنقبه للصيد فخاراً له ولسائر من يمارسه من السادة والصعاليك، فبهه جميعاً تجاهه على سواء.

قدوة في الصيد:

إنه أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور، وكان عادكً مجهل مكاته أحد من أهل لعله وأئمتهم. وكذلك كان خليفة حازماً بصير بأمور السياسة بصره بشئون لعله. روى الثقات أنه دعا إليه ذات يوم إمام دار الهجرة مالك ابن أنس - رحمه الله - فقال: يا مالك إنه لم يبق في الناس عالم إلا أن وأنت، وقد سعنتى أمور الخلافة، فألف أنت للناس كتاباً، وطئته لهم توطئة،

ومهدده تهيئداً، متجنباً فيه شدائد ابن عمر ورخص ابن عباس وسواذ ابن مسعود، وسوف أحمل الناس عليه في الأمصار.

يقول مالك: فوالله لقد علمني التأليف يومئذ.

ومع ذلك كان يركب إلى صيده مشمراً من ذيله وعلى يده بازى. وذات يوم صنع ذلك فعبر الحسر بادياً، ثم انكفاً فعبر الآخر راجعاً وقد تبينه الناس، فلما عاد واستقرَّ به مجلسه سأل الربيع: ماذا قال الناس في ركوب أمير المؤمنين على هذه الحال؟ قال الربيع: إنهم عجبوا منها، قال أبو جعفر: إنه كان لأمر المؤمنين في ذلك مذهب، وهو أنه سيأتى من أبنائنا من يحب الصيد ويتبدل فيه، فأحببت أن يكون منى ما رأيت؛ فمضى فعل مله منا فاعل بعدى، قال الناس: قد ركب المنصور على مل هذه الصورة، فرأوا أن له بأسلافه قدوة فعذروه.

وكذلك كان المهدي - مع ما كان فيه من الحذر والتحفظ والبعد من البديل - مشغولاً بالصيد، لا يكاد يفقه وكان مع ذلك مجدوداً فيه لا يحرم وكذلك كان لئرسيد حظ من الصيد، فكان يرتاح له إذا حضره ارتياحاً شديداً، حتى تحمله الأريحية على ركض فرسه والشدة في أثر الطريدة. وكذلك كان الأمين والمعتصم والمعتضد.

وليس من شأننا أن نستوعب هذا الباب وحسبنا منه هذه الإمامة بأبرز صورة. وقد أجمل مناقبه الأصمعي رحمه الله في قوله:

سمعت بعض الملوك وهو يركض خلف كلب وقد دنا خطمه من عجب ذنب الظبي وهو يقول مخاطباً الكلب: إيه قدتك نفسي.
وأنت إذا تأملت هذه المناقب التي عرضناها عليك رأيت أن لعرب كانوا يعترفون بمفاخر أسلافهم ويحرصون عليها.

وقد كان الصيد أحد معاشهم بغير سك لا فرق في ذلك بين العرب
العاربة والعرب المستعربة. فغير معقول أن يحتقر الصيد في شعر يُروى أو
قول يؤثر إلا إذا كان لذلك الشعر أو القول مخرج لم يتهياً للذين نظروا
فيه، أو تهياً لهم ولكن الرغبة في الحجاج والغلب بأية سبيل حملهم على أن
يتجاهلوا هذا المخرج فيرووا من شعر العرب الفحول ما يدل على أنهم
يستذلون الصيد ويحقرّون الصياد على ما روى من قول عمرو بن معدى
كرب الزبيدي..

أبى رباد أنتم في قومكم	ذنب ونحن فروع أصل طيب
نصل الخميس إلى الخميس وأنتم	بالقهر بين مريق ومكلب
لا يحسبن بنو طليحه حربنا	سوق الحمير بحانة فالكوكب
حيد عن المعروف سعى أبيهم	طلب الوعول بوفضة وبأكلب
حتى يكهن بعد سيب تامل	ترحاله من كاهن متكذب

فهذا الشعر - عند التأمل - ليس احتقاراً للصيد على الإطلاق، وإنما هو
بقية الحمية الجاهلية والاعتزاز بالقوة والعصية، والافتخار بالغارة الظالمة. دون
نظر إلى المعاني الكريمة الكبيرة التي جاءهم بها الإسلام، ينهاهم عن العصية
التي ينصر المرء فيها أخاه ظالماً أو مظلوماً، كما ينهاهم عن التغاور والتناهب؛
والتعاس الرزق من أحسن وجوهه، فالذين أعرضوا عن ذلك ففحروا بأنهم
ليسوا أهل صيد ولكنهم أهل غارات، لم يتقيدوا في ذلك بأدب الله وأدب
رسوله ﷺ. ولا نشك في أن هذه الأبيات المنسوبة إلى عمرو بن معدى
كرب الزبيدي صاحب رسول الله، إنما كان قد قالها قبل أن يشرح الله
صدره للإسلام وهو الذي كان حمى الأنف فلم يكن يطيق أن ينال من
كبريائه أحد ولو كان أمير المؤمنين، فقد قال له في كلمته المأثورة التي

أسلفناها في هذا الباب: «الحمى أضرعتنى لك»، يعنى - رحمه الله - أنه لولا الإسلام نهته في نفسه العصبية وحمية الجاهلية لكان له مع أمير المؤمنين موقف آخر يدفع به عن نفسه ما كان يدفع به عن نفسه في الجاهلية. ولكن الإسلام منعه من ذلك فأوهن قواه بما جعله لايرد على أمير المؤمنين - رضى الله عنه -.

وقد بقيت بقايا من هذه الحمية الجاهلية بعد الإسلام على ما يرى المتأمل ذلك في قصيدة قريظ بن أنيف التى يقول فيها:

لو كنت من مازن لم تستيح إبلى	بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم	طاروا إليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يتدبهم	في النائبات على ما قال برهانا
لكن قومي وأن كانوا ذوى عدد	ليسوا من الشرفى شيء وإن هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة	ومن إساءة أهل السوء إحسانا
كأن ربك لم يخلق لخشيتيه	سواهم من جميع الناس إنسانا
فليت لى بهم قومًا إذا ركبوا	شئوا الإغارة فرسانًا وركبانًا

فهذا الشعر قاله قائله بعد الإسلام، ولكن أعلام الجاهلية خفاقة في أجوائه والشاعر يضيق بقومه لأنهم طيبون. ويتمنى أن يبدله الله بهم أهل غارات ونهب وسلب.

فهذا الشعر من نوع ذلك الشعر الذى قاله عمرو بن كرب الزبيدى مفتخرًا فيه بأن قومه لا يعيشون على الصيد كما يعيش الآخرون الضعاف الذين يعجزون عن الغارة والسلب والنهب ولو كانوا ظالمين.

فليس في ذلك غض من مناقب الصيد وفضائله.